الاختيار الاسلوبي

يكاد يكون تعريف الاسلوب بأنه اختيار من التعريفات الشائعة والمعروفة في الدراسات النقدية الحديثة إذ إن معالجة الاسلوب على أنه اختيار احتلت مساحات واسعة من مناقشات الدراسة الاسلوبية. وقد شاع في الدراسة الاسلوبية أن نظام اللغة يقدم للمبدع امكانات هائلة له أن يستخدمها للتعبير عن حالة واحدة أو موقف معين، وهذا يعني أن للمبدع الحرية في اختيار ما يريد مادام ما يختار يخدم رؤيته وتصوره وموقفه، ولكن هذا الأمر لم يبق مجرد عموميات وانما بدت هناك تحديدات لعملية الاختيار في الدراسات الاسلوبية وقد حددت خمس مستويات للاختيار هي:-

١- اختيار الغرض من الحديث.
٢- اختيار موضوع الحديث
٣- اختيار الرمز اللغوي
٤- الاختيار الاسلوبي
٥- الاختيار الشكلي

وان الاختيار يتلخص الى عنصرين الأول ذاتي والثاني موضوعي، وهذا يستنتج من قول احمد حسن الزيات عندما عرف الاسلوب بأنه: طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة في اختيار الالفاظ وتأليف الكلام وهذه الطريقة فضلاً عن اختلافها في الكتاب والشعراء تختلف في الكاتب أو الشاعر نفسه باختلاف الفن الذي يعالجه والموضوع الذي يكتبه والشخص الذي يتكلم بلسانه أو يتكلم عنه.

يبرز من خلال هذه المناقشات أن عملية الاختيار عملية اساسية هما اختلفت تأويلات الكتاب والنقاد وموقفهم فيها لأنهم يجعلون في البؤرة على أهمية الاختيار في الدراسات الاسلوبية، فالاختيار ناتج الى قاعدة التماثل والمشابهة والمغايرة والترادف والطباق بينما يعتمد التأليف وبناء المتوالية على المجاورة أو ما اصبح يعرف بمحور الاستبدال ومحور التركيب وان اختيار وانتقاءها دون غيرها يبرز احياء الكلمة وظلالها الخاص بها

فهناك فروقات وإيحاءات تحملها كل كلمة عن الأخرى التي ترادفها
ومن الأمثلة على ذلك قول سلامة بن جندل:

أودى الشباب حميداً ذو العجائب أودى وذلك شأو غير مطلوب
ولّى حثيثاً وهذا الشيب يطلبه لو كان يدركه ركض العجائب
أودى الشباب الذي مجد عواقبه فيه نلذ ولا لذات للشيب

الكلمة المحورية في هذه الأبيات هي كلمة أودى التي كررها الشاعر ثلاث مرات. فلماذا اختار الشاعر هذه الكلمة دون غيرها مع أن اللغة تتيح له إمكانيات كثيرة للاختيار؟ يبدو أن الشاعر يرى أن هذه الكلمة هي الأقدر على التعبير عن تجربته، ورؤيته، فاختيار الشاعر كلمة دون غيرها له دلالة أكيدة على أهمية هذه الكلمة. لقد كان بمقدور سلامة بن جندل أن ينتقي كلمات أخرى مرادفة لكلمة أودى التي جعل الكلمة المحورية في الأبيات لكنه آثر كلمة أودى لأن وقع هذه الكلمة ربما يكون أكثر من الكلمات الأخرى المرادفة لها ولذلك تصبح كلمة أودى هي كلمة مختارة ومنتقاة من بين مرادفاتها. لأن الشاعر يختار بطريقة واعية الكلمة الأكثر قدرة على التعبير عن تجربته.

ومن ذلك قول الخنساء في أخيها صخر:

وإن صخراً إذا نشتو لنار وإن صخراً لوالينا وسيدنا
كأنه علم في رأسه نار وإن صخراً لتأتم الهداة به

لقد اختارت الخنساء في هذه الأبيات (إن صخراً) لأنها الأقدر على التعبير عن الوقف الشعوري والانفعالي فالشاعرة استخدمت التكرار لتعبر عن مواقفها إزاء موت أخيها. إن التكرار يلفت انتباه المتلقي ويثير فيه الدهشة والعجب... وهكذا يقوم التكرار الصوتي بدور مهم في الكشف عن القوة الخفية في الكلمة التي تم اختيارها وانتقاؤها من الشاعر